موسكو). وبعد الحصول على هذه التأشيرة، يصبح المواطن اليهودي السوفياتي بحكم المهاجر، ويفقد جواز سفره وجنسيته، دون ان يكتسب اية جنسية أخرى.

بعد انتهاء اجراءات الهجرة، تقوم الحكومة السوفياتية بتسفير هؤلاء المهاجرين الى فيينا، التي تعتبر محطة «ترانزيت»، وذلك بموجب اتفاق خاص مع الحكومة النمساوية. وفي فيينا، حيث يصل المهاجرون اليهود اليها براً، أو جواً، استأجرت الحكومة النمساوية، بالاتفاق والتعاون مع منظمتي «هياس» و«جوينت»، فنادق خاصة لاقامة المجموعات اليهودية الوافدة. وتحاول الحكومة النمساوية منع أي اتصال من جانب ممثلي السفارة الاسرائيلية، أو الوكالة اليهودية، بهؤلاء، قبل ان يختاروا مركز التوجّه: فلسطين المحتلة، أو احدى بلدان أوروبا الغربية، أو الولايات المتحدة الاميركية، أو غيرها. وبعد ان يختار هؤلاء جهة التوجّه، تتولّى السفارة الاسرائيلية والوكالة اليهودية مهمّة تسفير من اختاروا الأرض المحتلة.

أمّا الذين يختارون المهاجر الأخرى، وهم يشكّلون النسبة الأكبر عادة، فيقيمون في فيينا فترة لا تقل عن اسبوعين، ولا تزيد على شهر، ينتقلون، بعدها، الى ايطاليا، حيث توجد لهم ثلاثة مراكز تجمّع كبيرة (احدها في سيبتا قرب روما) ينتظرون فيها فترة تتراوح بين الشهرين والستة شهور، وأحياناً أكثر من ذلك، الى ان يحصلوا على اذن الدخول والهجرة الى الولايات المتحدة الاميركية، التي يفضلها معظمهم، أو الى استراليا، أو كندا، أو نيوزيلاندا. وكثيراً ما تطول فترة بقاء الكثيرين منهم على ستة شهور، فيضطرون، تحت ضغط عوامل الضغط النفسي والحاجة، الى ارتكاب العديد من الاعمال الخارجة على القانون[٦]. وقد تظاهرت أعداد كبيرة منهم، في مطلع العام ١٩٧٩، عند مقرّ منظمة «هياس» في روما، مطالبة بفتح ابواب المهاجر الأميركية لهم. كما كانت تراجع أعداد منهم السفارات السوفياتية في العاصمة الايطالية، وغيرها من العواصم الأوروبية، مطالبة بالعودة، بعد ان يئسوا من انفتاح ابواب الهجرة الى غير اسرائيل، أمامهم.

ولعلنا نسأل هنا لماذا كانت تصرّ السلطات السوفياتية على رفض عودة هؤلاء المهاجرين؟ فاذا كانت هجرة هؤلاء، أو بعضهم، قد تمّت بتحريض واغراء من الدعاية الغربية والصهيونية، ألّا تعني عودتهم اكتشافهم لأباطيل هذه الدعاية، ودحضاً للمزاعم الصهيونية؟! ويبدو ان الموقف السوفياتي الرسمي والمعلن من هذه المشكلة لا يزال على حاله، وهو ما عبّرت عنه في حينه، صحيفة «ناتشنايا ماسكفا» التي كتبت: «ان الحكومة السوفياتية لا تنوي السماح بعودة المهاجرين اليهود، الذين تخلّوا عن الجنسية السوفياتية وتنكّروا لحياة وطنهم»[٧]. ويتضح من لهجة الصحيفة ان الموقف السوفياتي من هؤلاء «التائبين»، أو الراغبين في العودة، هو موقف عقابي، نابع، ربما، من شعور السلطات السوفياتية بجحود هؤلاء المهاجرين اليهود الذين يتنكّرون لوطنهم ولنظامهم. وايّاً تكن الاعتبارات السوفياتية، فاننا نسأل فقط: الم يكن من الأجدى درس ظروف هؤلاء التي حدت بهم الى الهجرة، والظروف الصعبة التي عانوا منها بعد الهجرة، والتي أشعرتهم بخطأ اختيارهم، والتفكير بالعودة؟

ان ظاهرة هجرة عشرات الألوف من اليهود السوفيات خلال عقد واحد، أو عقدين، من الزمن لتحتاج الى دراسة سوسيولوجية متأنية، لمعرفة الأسباب وراء عدم اندماج عدد كبير منهم في مجتمعاتهم. ولعلنا نسأل، ونحن نشاهد تدفق الراغبين في الهجرة على مكاتب التسجيل، هل كان فُتح ابواب الهجرة لليهود السوفيات «فرصة تاريخية» بالنسبة اليهم، وجدوا من الضروري انتهازها، على الرغم من كل ما في هذه التجربة من صعوبات ومرارة وقطع للجذور، من أجل الخروج من واقع